سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ ﴾

وَالْقُرْآنِ : (قسم) جوابه ما الأمر كما تزعمون .

ذِي الذِّكْرِ : ذي البيان لما يحتاج إليه في الدين .

عِزَّةٍ : حمية وتكبر عن الحق .

وَشِقَاقٍ : مشاقة ومخالفة لله ولرسوله .

كَمْ أَهْلَكْنَا : كثيرا أهلكنا .

قَرْنٍ : أمة . **فَنَادَوْا** : فاستغاثوا حين عاينوا العذاب .

وَ لاَ تَ حِينَ مَنَاصٍ : ليس الوقت وقت فرار وخلاص .

حيث إن التذكير إنما يتم بشيءٍ يكون موجوداً بالفعل بصورةٍ مسبقةٍ ، فيكون معنى كون القرآن "ذي الذكر" أي مذكراً أنه يدعو إلى التسليم بتلك الحقائق التي هي مودعة في فطرة الإنسان سلفاً ، وإنه لم يكن لأحد الناس أن يعثر في القرآن على شيءٍ يتعارض مع الواقع أو ينافي الفطرة ، وهذا بحد ذاته دليل كاف على أن القرآن حق لاريب فيه ، والذين يأبون الإيمان بالقرآن فمن المؤكد أن الباعث على إنكارهم نفسي وليس بعقلي، أي إنهم لا ينكرونه استناداً إلى دليل أو برهان ، بل لأن كبرياءهم يزول فيما لو آمنوا به .

وإن القرآن ليس إلا امتداداً لدعوة التوحيد تلك التي ظلت جاريةً على أيدي

الأنبياء فيما خلا من العصور ، وكلما قابل قوم هذه الدعوة بالتكذيب والإنكار في الأزمان الغابرة ، لم يلبثوا أن أهلكوا وجُعلوا أحاديث ، وينبغي لمنكري الحال أن يعتبروا بهذا المصير المحتوم الذي لقيه منكرو الماضي !

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾

عُجَابٌ : بالغ الغاية في العجب .

المَلأُ مِنْهُمْ : الوجوه من كفار قريش .

امْشُوا : سيروا على طريقتكم ودينكم .

المِلَّةِ الآخِرَةِ : دين قريش الذي هم عليه .

اخْتِلاقٌ : كذب وافتراء منه .

كان القرآن – من جهةٍ – بأسلوبه الفذ وكلامه البليغ المؤثر على نحوٍ غير عاديٍ ، يصيب المعارضين بذهولٍ واندهاشٍ بالغين ، وكان مظهر صاحب القرآن العادي يوقعهم – من جهةٍ أخرى – في شكٍ وارتيابٍ ، ومن ثم كانوا لا يزالون يرددون صنوفاً من الأقاويل لرفضه وتكذيبه ؛ فيقولون تارة: إنه ساحر ، ويرمونه طوراً بالكذب والافتراء ، ويزعمون حيناً أن له وراء ذلك بعض الأغراض المادية ، ويتساءلون حيناً آخر كيف يمكن أن يكون أسلافنا الكبار جميعاً على خطأ ، وهذا الرجل العادي وحده

على الصواب ؟!

وقولهم ﴿ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ مما يوضح أنهم كانوا يجدون أنفسهم عاجزين في ميدان الدليل ، ولذلك حاولوا إنقاذ الجماهير التابعة لهم من التيار القرآني برفع شعار التعصب !!

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾

الأَسْبَابِ : المعارج إلى السماء .

جُندٌ مَّا : هم مجتمع حقير و"ما" زائدة .

هُنَالِكَ : بمكة يوم الفتح أو يوم بدر .

ذُو الأَوْتَادِ : الجنود أو المباني القويتين .

وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ : سكان الغيضة الكثيفة الملتفة الشجر (قوم شعيب).

وَمَا يَنظُرُ : ما ينتظر .

صَيْحَةً وَاحِدَةً : نفخة البعث .

مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ : ما لها توقف قدر فواق ناقة ، وهو ما بين حلبتيها .

قِطَّنَا : نصيبنا من العذاب الذي أوعدته .

إن رحمة الهداية الإلهية لا تُوزع بحيث إن مَنْ نال العظمة الدنيوية ، يُمنح بالضرورة هداية الله الأخرى ؛ إذْ لو كانت العظمة الدنيوية مما يجعل صاحبها عند الله عظيماً ، لكان بإمكانه هو وأمثاله من عظماء الناس أن يعطوا رحمة الله من شاءوا ، ويمسكوها عمن شاءوا.. ولكن الحقيقة أن الله يقسم رحمته حسب معياره هو ، وليس بحسب معيار عبدة الظواهر من البشر ، وقد كان المنكرون للرسول يسخرون منه قائلين: بأن ائتنا بالعذاب الإلهي الذي تخوفنا به !

وإنما تولدت هذه الجراءة في نفوسهم لكونهم يحسبون أن عذاب الله لن ينزل عليهم أبداً ، فتم تنبيههم إلى أنه قد مضت قبلكم أمم ظنت هي الأخرى نفسها بمأمنٍ من العذاب اعتماداً على أمثال هذه الأصنام التي تظنون أنفسكم آمنين في جوارها ، ولكنها لم تلبث طويلاً حتى أهلكت عن بكرة أبيها ، إذن ، فما الذي سيجعلكم لا تلقون هذا المصير المحتوم!!

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾

ذَا الأَيْدِ : ذا القوة في الدين والعبادة .

إِنَّهُ أَوَّابٌ : رَجَّاعٌ إلى الله تعالى وطاعته .

بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ : من الزوال للغروب ، ووقت الضحى .

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ : قويناه بأسباب القوة كلها .

وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ : النبوة وكمال العلم وإتقان العمل .

وَفَصْلَ الخِطَابِ : علم فصل الخصومات .

الخَصْمِ : ملكين في صورة إنسانين .

للصبر أهمية بالغة في الدين ، ولكن لا يطيق الصبر على أذى الإنسان إلا الذي يستطيع تفويض أمر الإنسان إلى الله ، فإن الشخص الذي يكون غارقاً في تسبيح الله وحمده ، يمكنه أن يعرض عما يلقاه من أخيه الإنسان من منكر القول وسوء الأخلاق .

وقد كان سيدنا داود - عليه السلام - النموذج الأعلى لهذه الصفة ، فمع ما أعطاه الله من قوة خارقةٍ ومملكةٍ عظيمةٍ واسعةٍ ، إلا أنه كان رجاعاً إلى الله في كل الأمور والمعاملات، وكان لا يزال مستغرقاً في التسبيحات الإلهية المترددة أصداؤها في أرجاء الكون.. وقد كان - عليه السلام - يعزف ، وهو جالس في سفح الجبل ، نغمات الحمد الإلهي بصوته الجميل الممتزج بحرقةٍ وشوقٍ وولهٍ يجعل كل ما حوله يتجاوب معه ، حتى إن الجبال والطيور والأشجار كانت بدورها تردد تسابيحه .

وإن المملكة التي أعطاها الله داود كانت مملكةً قويةً متماسكةً للغاية، وسر هذه القوة والتماسك كان يكمن في الحكمة وفصل الخطاب، والمقصود بالحكمة أنه كان يعالج دائماً كل ما يعرض له من قضايا وشئون بأسلوبٍ حكيم ومتعقلٍ . وأما فصل الخطاب فمعناه أنه كان يتمتع بصلاحية الحكم الصحيح واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وهذان الشيئان هما اللذان يجعلان من أحد الحكام حاكماً صالحاً ؛ إذْ وجود الحكمة فيه كفيل بأنه لن يقدم على ما قد يكون ضرره أكبر من نفعه، بينما يتكفل فصل الخطاب بأن قضاءه سيكون دوماً قضاءً عادلاً !

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ

فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾

تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ : علوا سور مصلاه ونزلوا إليه .

بَغَى بَعْضُنَا : تعدى وظلم وجار .

وَلَا تُشْطِطْ : لا تجر في حكمك .

سَوَاءِ الصِّرَاطِ : وسط الطريق وهو عين الحق .

يقولون: إن داود - عليه السلام - كان قد نظم أوقاته بحيث خصص يوماً لتصريف شئون الملك وللقضاء بين الناس ، ويوماً لأهله وعياله ، ويوماً للخلوة والعزلة يتفرغ فيها لعبادة الله وتسبيحه ، وفي ذات يوم - وهو يوم عبادته - فوجئ بشخصين يتسوران المحراب الذي كان يتعبد فيه وحيداً منفرداً بنفسه ؛ ففزع من هذه المفاجأة بعض الشيء، ولكنهما بادرا يطمئنانه قائلين : إننا متخاصمان ، وإنما جئناك لتحكم بيننا بالحق في أمرٍ هو مثار الخصومة بيننا !

﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

أَكْفِلْنِيهَا : انزل لي عنها حتى أكفلها .

وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ : غلبني وقهرني في المحاجة .

الْخُلَطَاءِ : الشركاء.

فَتَنَّاهُ : ابتليناه وامتحناه .

وَخَرَّ رَاكِعاً : ساجداً لله تعالى .

وَأَنَابَ : رجع إلى الله بالتوبة .

لَزُلْفَى : لقربة ومكانة .

وَحُسْنَ مَآبٍ : حسن مرجع في الآخرة (الجنة) .

والقضية التي عرضها المتحاكمان لم تكن قضية حقيقيةٍ ، وإنما كانت بلسان التمثيل، تنبيهاً لداود عليه السلام نفسه إلى بعض شئونه الخاصة ، ومن ثم فما لبث أن تذكر ، وهو يقضي بين الخصمين ، شأنه الخاص الذي كان مماثلاً للقضية المعروضة ، مما جعله يرجع عنه في الحال ، ويخر بين يدي ربه ساجداً في خشوعٍ وإنابةٍ .

وقد كان داود - عليه السلام - يمتلك في ذلك الوقت زمام سلطةٍ جد عظيمةٍ ، ولكنه ما عاقب الرجلين الداخلين عليه من غير مدخلٍ ، ولا تناولهما بالزجر أو التأنيب . وهذا هو منهج عباد الله الصادقين ، حيث لا تنبعث في نفوسهم مشاعر العناد والتعنت تجاه أي أمرٍ من الأمور ، وإذا ما تم إشعارهم ببعض نقائصهم ، بادروا إلى الاعتراف بها وإصلاحها من فورهم ، حتى لو كانوا هم أصحاب قوة واقتدارٍ ، وكان المُشعرون لهم قد أشعروهم بأسلوبٍ فظٍ غير لائقٍ ولا مهذبٍ !!

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

إن الحاكم - أي حاكمٍ - يكون دوماً أمام مفترق طريقين لا ثالث لهما : فإما أن يقضي في الخصومات على هواه ، أو بحسب مبدأ الحق ، وإن الحاكم الذي يحكم أهواءه ورغباته فيما يعرض عليه من القضايا ، والخصومات قد ضل عن الطريق السوي والجادة المستقيمة ، وإنه سيحاسب عند الله أشد الحساب ، وبالعكس فإن الحاكم الذي يقضي في الخصومات ملتزماً بمبدأ الحق والعدل ، هو وحده على الطريق القويم ، وإنه سينال عند الله الثواب والإنعام بغير حساب .. وهذا التوجيه ضروري لعامة البشر تماماً كما هو ضروري بالنسبة إلى مَنْ يتولى الحكم والقضاء ، فكل امرئٍ مطالب بأن يفعل في حدود اختياره نفس ما أمر به الحاكم صاحب السلطة في هذه الآية الكريمة !

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

بَاطِلاً : لعبا وعبثا .

عندما نتأمل الكون وما فيه ، نجد أن نظامه قائم على أسسٍ حكيمةٍ للغاية ، بينما كان من المحتمل أيضاً أن يكون هذا النظام عشوائياً ؛ كل شيءٍ فيه يسير كيفما اتفق بلا ضابطٍ أو قانونٍ . وإن وجود أنسب الاحتمالين في هذا الكون قرينة دالة على أن خالقه قد خلقه تحت خطةٍ هادفةٍ .. إذن ، فالكون الذي يكون هادفاً في بدايته ، كيف سيعود غير ذي هدفٍ ، ولا معنىً في منتهاه؟!

ومرةً أخرى تدلنا الملاحظة على أن من الناس من يعترف بالحقيقة ، ويخضع نفسه لمقتضيات الحق والعدل بمحض إرادته واختياره ، ومنهم من لا يعترف بالحقيقة ، وإنما

يعيش حراً طليقاً من كل القيود والالتزامات ؛ فيقول ما شاء ، ويفعل كما يشاء ، وإن العقل ليرفض التسليم بأن ينتهي كلا هذين النوعين من البشر ، على ما بينهما من التفاوت البين والبون البعيد ، إلى مصيرٍ مماثلٍ واحدٍ !.

ولئن أخذنا وضع العالم هذا بعين الاعتبار ، فإن تصريح القرآن عن الحياة وحده سيبدو لنا أقرب إلى الواقع وأكثر تطابقاً معه ، وليس مزاعم أولئك الذين يحاولون تفسير الحياة على نحوٍ مضادٍ لذلك !.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

فَوَيْلٌ : هلاك . أو واد في جهنم .

إِنَّهُ أَوَّابٌ : رجاع إليه تعالى بالتوبة .

بِالْعَشِيِّ : ما بعد الزوال إلى الغروب .

الصَّافِنَاتُ : الخيول الواقفة على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .

الجِيَادُ : السراع السوابق .

أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ : آثرت حب الخيل.

عَن ذِكْرِ رَبِّي : لأجله تعالى تقوية لدينه .

تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ : غربت الشمس أو غابت الخيل عن بصره لظلمة الليل .

رُدُّوهَا عَلَيَّ : ردُّوا الخيل عليَّ .

فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ : فشرع يقطع سوقها وأعناقها بالسيف .

كان سليمان بن داود - عليهما السلام - رئيس دولةٍ عظيمةٍ بلا منازعٍ ، وقد عُرض عليه عشية يومٍ من الأيام الخيول المطعمة المدربة من جيشه ، ثم كان بينها سباق ، حتى اختفت الخيول ، وهي تعدو مسرعةً كالبرق الخاطف ، عن بصره ، وغابت في الأفق البعيد ، ثم عادت إليه بعد برهةٍ من الزمان ، ومثل هذا المنظر يكون دوماً رائعاً إلى حدٍ بالغٍ ، وإنه ليملأ قلب الإنسان العادي بمشاعر الزهو والكبرياء ، ولكن سليمان - عليه السلام - لم يكد يشاهد ذلك المنظر الرائع حتى أخذ يذكر الله عز وجل .. فقال: إنني لم أحب هذه الخيول إظهاراً لأبّهتي أنا ، وإنما أحببتها لله - سبحانه وتعالى - وحده ، حيث بدا له في شكل تلك الخيول بديع صنع الله وآثار قدرته الباهرة؛ مما جعله يمرّر يده على سوقها وأعناقها اعترافاً بعظمة الله وجلاله . إن المؤمن ينظر في كل شيءٍ كبرياء الله ، أما غير المؤمن فإنما يرى في كل شيءٍ كبرياء نفسه هو !!

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

وَالأَعْنَاقِ : قرباناً لله تعالى وكان ذلك مشروعا في ملته .

فَتَنَّا سُلَيْمَانَ : ابتليناه وامتحناه .

جَسَداً : شق إنسان ولد له .

أَنَابَ : رجع إلى الله تعالى بالتوبة .

رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ : لينة . أو منقادة حيث أراد .

وَغَوَّاصٍ : في البحر لاستخراج نفائسه .

الأَصْفَادِ : الأغلال تجمع الأيدي إلى الأعناق .

بِغَيْرِ حِسَابٍ : غير محاسب على شيء من الأمرين

لَزُلْفَى : لقربا وكرامة .

ما من إنسان إلا تصدر منه هفوات أو تقصيرات ، غير أن التقصير بالنسبة إلى عباد الله الصالحين يعود مبعث خيرٍ عظيمٍ ، إذْ أنهم لا يلبثون على أثره أن يرجعوا إلى ربهم بمزيدٍ من الخشوع ، وبالتالي يستحقون مزيداً من الإنعام والتكريم .

وذات مرةٍ صدر من سليمان - عليه السلام - بدوره تقصير اجتهادي في بعض الأمور ، ولما تبين له وجه الحقيقة أناب إلى الله مبتهلاً مستغفراً ، فعفا الله عنه ، وأنعم عليه بأن أعطاه ملكاً كبيراً ، واختصه بقدرات وصلاحيات غير عادية لم تُمنح لأحدٍ من البشر سواه!

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

وَحُسْنَ مَآبٍ : حسن مرجع في الآخرة .

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ : بتعب ومشقة وألم وضر .

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ : اضرب بها في الأرض .

هَذَا مُغْتَسَلٌ : ماء تغتسل به . فيه شفاؤك .

ضِغْثاً : قبضة من قضبان أوعثكال النخل بشماريخه .

كان أيوب - عليه السلام - من أنبياء بني إسرائيل ، ويرجع عهده - في أغلب الظن - إلى القرن التاسع قبل المسيح ، وكان قد أوتي من المال والثروة أوفر نصيبٍ ، ولكنه بدل أن يتلهى بماله وثروته كان يشتغل بعبادة الله ويدعو الناس إلى الله .

بيد أن بعض الخبثاء لم يلبثوا أن راحوا يقولون : إن أيوب عابد متدين بسبب ما هو فيه من نعمة ومال وعافية، لكنه لو ابتلى بالفقر والحاجة والمرض لخرج عن طاعة الله ولما صار متديناً .

ولكي يقيم الله على الناس الحجة ، فقد ابتلى عبده أيوب بأشد أنواع الفقر والبؤس .. إلا أنه مازال عابداً لله كعادته ، وقال : "الرب أعطى ، والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً" . وأصيب - عليه السلام - بمرض جلدي شديد ، فامتلأ جسده كله قروحاً ودمامل.. ولكنه ظل كما هو مثالاً حياً للصبر والشكر .. ولما قامت على الناس الحجة القاطعة ، فجّر الله تعالى لأيوب عيناً ، لم يكد يغتسل بمائها ويشرب منه حتى برئ جسمه من سقامه ، وعاد سليماً معافى .. كما أعاد الله إليه مرةً أخرى ما ذهب عنه من مالٍ وولد، وزاد عليه من فضله ونعمته .. وفي حالة مرضه كان أيوب قد حلف أن يضرب زوجته مائة ضربةٍ بعصا ، بعد إبلاله من المرض ، لموجدةٍ وجدها في نفسه منها، ولكي يبر بقسمه ذاك أرشده الله تعالى إلى تدبير لطيف، وهو أن يأخذ مكنسةً عدد عيدانها مائة عود ، فيضرب بها زوجته ضربةً واحدةً خفيفةً ، ومن هذا نعلم أن اللجوء إلى الحيل مشروع في حالات خاصة ؛ بشرط ألا يؤدي ذلك إلى إلغاء أي حكم شرعي .

وإن الله سبحانه إذْ يستعمل شخصاً لدينه ، ويسلم ذلك الشخص نفسه إلى الله بدون أدنى تحفظٍ ، فإنه تعالى يعوضه عما يفقده خلال قيامه بالعمل المذكور بما يفوقه كماً ونوعاً إلى حدٍ كبيرٍ !!

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

أُوْلِي الأَيْدِي : أصحاب القوة في الطاعة .

وَالأَبْصَارِ : والبصائر في الدين والعلم .

أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ : خصصناهم بخصلة لا شوب فيها .

ذُكر هنا عدد من الأنبياء وأطلق عليهم وصف ﴿ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ ، أي إنهم كانوا على مستوى أعلى في كلٍ من القوة الجسدية والبصيرة الذهنية، حيث كانوا - من ناحيةٍ - يتمتعون بالقدرات العملية ، كما أقاموا الدليل - من ناحيةٍ أخرى - على أنهم يمتلكون النظرة الصائبة نحو الأشياء ، وصلاحية تكوين الحكم الصحيح على الأمور، ومن هنا فقد اصطفاهم الله لتبليغ رسالته .

ما هو العمل الخاص الذي يختار الله لأجل القيام به أنبياءه من البشر ؟ إنه يتمثل في التذكير بدار الآخرة ، فقد ظل المحور الرئيسي لرسالة الأنبياء على اختلاف الأعصار والأمصار ، هو أن يلفتوا انتباه البشر إلى الحقيقة القائلة بأن الآخرة هي منزل الإنسان الحقيقي، وينبغي له أن يستعد لها وحدها ، فإن هذه هي القضية الكبرى بالنسبة إلى الإنسان، وأكبر عملٍ يقوم به إنسان في هذا العالم هو أن ينبه أخاه الإنسان إلى هذه القضية البالغة الخطورة!

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ

ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

هَذَا ذِكْرٌ : المذكور من محاسنهم شرف لهم .

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ : حور لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

أَتْرَابٌ : مستويات في الشباب .

نَفَادٍ : انقطاع وفناء .

إنما تفتح أبواب الجنة لأناسٍ فتحوا أبواب قلوبهم للذكر والنصيحة والذين عاشوا خائفين وجلين من الله قبل ظهوره عياناً. وهؤلاء السعداء هم الذين سيحظون بنعيم الآخرة الأبدي .

ونعم الآخرة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي ما يستمتع الإنسان بأمثالها في الحياة الراهنة ، ولكن بينهما فارق كبير جداً لابد أن يُلاحظ ، وهو أن هذه النعم وُجدت في العالم الراهن بصورةٍ وقتيةٍ وبدائيةٍ ، بينما ستوفر تلك النعم في الآخرة بشكلها النهائي والأبدي ، يضاف إلى ذلك أن هذه النعم العليا سيُحذف منها هناك كل أنواع الخوف أو عوامل التكدير التي لا يمكن حذفها عن مثيلاتها في عالمنا الراهن على أية حالٍ !!

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

لَشَرَّ مَآبٍ : لأسوأ منقلب ومصير .

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا : يدخلونها أو يقاسون حرها .

فَبِئْسَ الْمِهَادُ : فبئس الفراش ، أي المستقر جهنم .

حَمِيمٌ : ماء بالغ نهاية الحرارة .

وَغَسَّاقٌ : صديد يسيل من أجسامهم .

وَآخَرُ : وعذاب آخر .

مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ : من مثله أصناف في الفظاعة .

هَذَا فَوْجٌ : جمع كثيف من أتباعكم الضالين .

مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ: دخل معكم النار قهراً عنه .

لاَ مَرْحَباً بِهِمْ : لا رحبت بهم النار ولا اتسعت .

صَالُواْ النَّارِ : داخلوها . أو مقاسو حرها .

فَبِئْسَ القَرَارُ : فبئس المقر للجميع جهنم .

أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِياً ؟: مهزوءا بهم في الدنيا فأخطأنا ؟

زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ :مالت عنهم فلم نعلم مكانهم .

إن جهنم هي الصورة النهائية والأبدية لأنواع الألم تلك التي يمكن تصورها في العالم الراهن، وحين يُساق الطغاة والمكذبون بالحق في الدنيا إلى جهنم فوجاً بعد فوجٍ ،

obeikandl.com

فسيحتدم تخاصم شديد بين الأتباع والمتبوعين، فالأتباع الذين كانوا يفتخرون بعظمة قادتهم، يوجهون إليهم الشتائم واللعنات إذا رأوا سوء المصير الذي يلاقونه هناك، ولقد صورت هذه الآيات بعض جوانب ذلك المشهد الفظيع أدق تصوير.

وإذا رأى المنكرون للحق مصيرهم المشئوم في الآخرة، فسوف ترجع بهم الذاكرة إلى رجالٍ كانوا قد انضووا تحت راية الحق، وصاروا نتيجة ذلك يقابلون في مجتمعهم بغاية الاحتقار والازدراء، وقد كان المنكرون يرمونهم بأنهم تناولوا الأكابر والأسلاف بالإهانة والتجريح، وأنهم قد انحرفوا عن دين الآباء، واتخذوا لأنفسهم طريقاً آخر غير طريق الأمة، ولقد كان هؤلاء المنكرون يظنون أنفسهم على حق والآخرين على غير الحق، ولكن الأمر في الآخرة لن يلبث أن ينعكس تماماً، حيث سينكشف أن الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا باعتبارهم حقراء تافهين، هاهم أولاء قد نالوا أعلى درجات الفوز والسعادة في الآخرة!!

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

بِالمَلَإِ الأَعْلَى : الملائكة.

إِذْ يَخْتَصِمُونَ : في شأن آدم وخلقه وخلافته.

الاختصام المشار إليه هنا ﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ هو الجدل الذي أثاره إبليس عند خلق آدم وأمر الله الملائكة بالسجود له،وقد جاء في القرآن الكريم أن إبليس أصبح عدواً لدوداً لآدم منذ بدء الخليقة، وهو لا يزال يعمل جاهداً على أن يضل بني آدم عن

الصراط المستقيم بحيله ووساوسه المغرية .. ، لذلك ينبغي على الإنسان أن يأخذ حذره، ويتجنب الوقوع في أحابيله ، وإن قصة آدم بما تتضمن من اختلاف الملائكة قبل خلقه، وجدال إبليس واستكباره عن السجود له بعد خلقه ، كما سردها القرآن بإسهابٍ تارةً وبصورةٍ مقتضبة تارةً أخرى ، إنما كانت من ألفها إلى يائها وحياً منزلاً؛ لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يكن حينذاك حاضراً في الملأ الأعلى حتى يتمكن من حكاية ما جرى هناك على أساسٍ من العلم الذاتي .

إن أهم نبأ بالنسبة إلى الإنسان وأجدر أن يحظى باهتمامه هو إعلامه بطبيعة الحياة هذه المتمثلة في أن الشيطان لا يفتأ يلاحقه كل الوقت ، ويسعى إلى إغوائه من خلال الاندماج في تفكيره والتغلغل في عواطفه ومشاعره ، فيجب على الإنسان أن ينقذ نفسه من هذا الخطر ، وبالإمكان القول :إن الأنبياء إنما جاؤوا – باعتبار ما – لكي ينذروا البشر من هذا الخطر الخطير !!

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾

سَوَّيْتُهُ : أتممت خلقه بالصورة الإنسانية .

سَاجِدِينَ : تحية له وتكريما .

العَالِينَ : المستحقين للعلو والرفعة – كلا .

رَجِيمٌ : مطرود من كل خير وكرامة .

لقد خلق الله الإنسان كمخلوقٍ أعلى وأشرف ما يكون. وللتدليل على ذلك أمر الملائكة والجن بأن يقعوا أمامه ساجدين ، ولما كان إبليس قد أبى عن السجود لآدم امتثالاً لأمر الله ، لم يلبث أن صار محكوماً عليه باللعنة إلى الأبد، بيد أن أهمية هذا الحادث لم تكن بالنسبة إلى إبليس وحده ، وإنما كانت له أهميته البالغة حتى بالنسبة لآدم نفسه..

فقد صار إبليس بامتناعه عن الخضوع لآدم خصماً أو منافساً عنيداً لذرية آدم على نحوٍ أبدي .. وهكذا سار التاريخ البشري من أول يومه في اتجاه جديدٍ ، إذْ قرر ذلك الحادث أن رحلة الحياة لن تكون بالنسبة إلى الإنسان رحلةً سهلةٍ ميسورةً ، وإنما ستكون رحلةً كلها معاناة ومزاحمات عنيفة مضنية ، حيث يتعين على الإنسان أن يظل ثابتاً على جادة الحق والصواب في مواجهة إغراءات إبليس وتدابيره الخادعة ، حتى يستطيع الوصول إلى منزله ومستقره بسلامٍ .. وإن الإنسان تحول بينه وبين الجنة مكائد الشيطان وتمويهاته، ولن يدخل حدائق الجنة الأبدية إلا من يجنب نفسه مكائد الشيطان، وأما الذين يفشلون في استكناه مكائد الشيطان وتجنبها ، فأولئك هم المحكوم عليهم بالحرمان المؤبد من الجنة!.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فَأَنظِرْنِي : أمهلني ولا تمتني .

يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ : وقت النفخة الأولى .

فَبِعِزَّتِكَ : فبسلطانك وقهرك .

لأُغْوِيَنَّهُمْ : لأضلنهم بتزيين المعاصي لهم .

لقد أتيح للشيطان في عالم الامتحان الراهن فرصة تامة ليغوي الإنسان . بيد أن الشيطان إنما يتمكن من الإغواء ما دامت الحقيقة مستترة وراء الغيب . أما حين تمزق القيامة حجاب الغيب ، فسوف يتجلى كل شيء عياناً ، بحيث لن يبقى بعدئذٍ مغوٍ ولا غاوٍ .

ومعنى "المخلص" الخلو من الغش أو الزيف ، والعبد المخلص هو الذي يكون سليماً مبرئاً من الأمراض النفسية، وحال الشيطان أنه لا يملك أي سلطةٍ فعليةٍ ، وإنما هو يغوي الناس دوماً عن طريق التزيين ؛ أي إلباس الباطل ثوب الحق ، وعرض الأوهام والخرافات الواهية في قالب الألفاظ الجميلة والعبارات المزخرفة ، وتشكيك الناس في أمرٍ مستقيمٍ لا عوج فيه بإثارة زوبعةٍ من الاعتراضات أو المطاعن المفتعلة حوله .

على أن تزيين الشيطان لا ينخدع به إلا أناس تنطوي صدورهم على الزيف النفسي. وأما الذين لا يزالون يحتفظون بنفسياتهم على حالتها الفطرية الصافية النقية ، ويستعملون عقولهم بنزاهة وانفتاح ، فسرعان ما يتعرفون على المكيدة الشيطانية ، وبالتالي لا ينحرفون عن الجادة أبداً متأثرين بطلائها الظاهري الخلاّب !!

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾

المُتَكَلِّفِينَ : المتصنعين المتقولين على الله .

نَبَأَهُ : صدق أخباره .

من ألزم صفات الداعية أنه لا يطلب من المدعو أجراً ، ولا هو يثير فيما بينه وبين المدعو أي نزاعٍ مادي ، إن دعوة القرآن الكريم هي دعوة الآخرة ، ومن ثم فالذي ينصب نفسه - من جهةٍ - حاملاً للواء دعوة الآخرة القرآنية ، ويشن - من جهةٍ أخرى- حملة المطالبات المادية ضد الشعب المدعو ، هو في نظر المدعو رجل هازل غير جادٍ ، والشخص الذي يبرهن بنفسه - بلسان المقال أو بلسان الحال - على عدم جديته، فمن ذا يلقي إلى كلامه بالاً ، أو يعيره اهتماماً يذكر؟! وهكذا فمن شأن الداعي أنه لا يقول شيئاً يختلقه من تلقاء نفسه ، وإنما هو يقول ما تلقاه من عند الله تعالى لا يزيد عليه أو ينقص منه شيئاً .

قال مسروق (التابعي) : أتينا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فقال : يا أيها الناس مَنْ علم شيئاً فليقل به ، ومَنْ لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله - عز وجل - قال لنبيكم - صلى الله عليه وسلم- : "قل ما أسألكم عليه من أجرٍ ، وما أنا من المتكلفين" [1].

ومن صفات الداعية أيضاً أن يعرض الدعوة في قالب الموعظة الحسنة ، وينطبع كلامه بطابع النصح وحب الخير للآخرين ، وليس بطابع الجدل والمناظرة !!

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٠.